**الخطاب الطّائفي وتقويض الدّولة**

17-03-2023 | 00:00 **المصدر**: "النهار"

**محمد شقير\***

تكثر التّحليلات في ما آلت إليه الأوضاع في لبنان على جميع الصّعد، وتتعدّد الآراء في الأسباب التي أفضت إلى أكثر من انهيار اقتصادي، وأدّت إلى ضعف حضور الدّولة وعجزها عن تحمّل العديد من مسؤوليّاتها، لكن ما يتمّ التّغافل عنه، بل والتّعمية عليه؛ هو دور ذلك الخطاب الطّائفي في تقويض أسس الدّولة، والحؤول دون استعادتها.

وللأسف الشّديد، نجد أنّ العديد من المؤسسات الإعلاميّة والنّخب السّياسيّة في لبنان، تعتمد خطاباً طائفيّاً تحريضياً، يُعدّ من أخطر الأسباب التي أسهمت، وتسهم، في تدمير الأسس الاجتماعيّة لقيام الدّولة وحضورها.

من هذا المنطلق يمكن النّظر إلى ما ذكره قبل أيام أحد النّواب الحاليين، من تهجّم على الطائفة الإسلاميّة الشّيعيّة، ومن عدوان لفظي ومعنوي يطال أحد معتقداتها الدينيّة. وهنا ينبغي أن نلفت إلى ما يأتي من ملاحظات:

1. لا يمكن فصل ذاك الكلام عن جميع السّياقات الإعلاميّة والسّياسيّة ذات الصلة القائمة في لبنان، إذ إنّ مزيداً من التّحريض، ومن خطاب التّشويه والشّيطنة الذي تتعرّض له الطّائفة الإسلاميّة الشّيعيّة في لبنان، من قبل بعض وسائل الإعلام المحليّة والخليجيّة، والتي لا تقف عند حدّ التّشويه السّياسي، وإنّما تتعدّاه - وأحياناً بطريقة يشوبها شيء من العنصريّة - إلى الدّيني والمجتمعي؛ لن ينتج إلا كلاماً من قبيل ما ذكره ذلك النّائب.

2. مستوى العدوانيّة التي اتّسم بها هذا الكلام تجاه الطائفة الإسلاميّة الشّيعيّة في معتقداتها الدينيّة، حيث إنّ ما حصل يشير إلى أنّ تلك النخب السياسية، لديها كلّ الاستعداد لتجاوز حدود السّجال السّياسي إلى الديني وغيره، ولتمارس تلك العدوانيّة دون حدودٍ تُعقلنها، أو حاجز يحصرها، ولتستبيح جميع القيم والمعتقدات والمقدّسات؛ وهو ما يعيدنا إلى الملاحظة السابقة، إذ إنّ خطاب التّحريض والتّشويه والعدوان، لن ينتج إلّا مزيداً من العنصريّة واللاعقلانيّة، ولن يؤدّي إلّا إلى تدمير لبنان الدّولة والمجتمع.

3. إنّ ما حصل يعطي مؤشراً إلى طبيعة تلك النخب السّياسية، التي ينبغي لها أن تكون بحكم موقعها أشدّ مسؤوليّة، وأقرب إلى مراعاة اللياقات المجتمعيّة وأدب الحوار، وأحرص على السّلم المجتمعي، وأبقى على بناء عناصر الثّقة بين أطياف الاجتماع اللبناني.
إنّ سؤالاً جوهريّاً بنبغي طرحه هنا، وهو: هل هذه هي النّخب التي تؤتمن على لبنان الوطن، وعلى بناء الدّولة؟ وهل من يعمل على تدمير العلاقات بين الطّوائف ومختلف المكوّنات الاجتماعيّة في لبنان؛ يمكن أن يكون صادقاً في دعوى مشروع استعادة الدّولة وبنائها؟

4. قد يصحّ لنا أن نتحدّث عن مستوى الانفصام بين ما تطرحه بعض النّخب السّياسيّة وغير السّياسيّة من شعارات حول بناء الدّولة، وبين ما تمارسه من سلوك وخطاب، لأنّ من الواضح أنّ بناء الدّولة لا يمرّ عبر تدمير العلاقات بين الطّوائف في لبنان؛ ولأنّ استعادة الدّولة لا تتأتّى من خلال منطق التّحريض؛ ولأنّ حفظ الأوطان لا يُنال بخطاب العدوان المعنوي وغير المعنوي؛ ولأنّ عودة الدّولة وحضورها لا تُستحصل إلّا من خلال بناء مداميك الثّقة والتّعاون والاحترام بين مختلف طوائفها؛ أمّا من يعمل على هدم هذه المداميك، فهو يعمل على هدم الوطن، والإضرار بما بقي من أمل لدى اللبنانين في استعادة دولتهم وحضورها.

5. إنّ على عاتق جميع المؤسّسات والمرجعيّات الدّينيّة مسؤوليّة كبرى في هذا الشّأن، وهي العمل على الحؤول دون تجاوز هذه النّخب السّياسيّة وغيرها لحدودها، وتعدّيها على الشّأن الدّيني لأيّ من الطّوائف في لبنان، ومنعها من التّطاول على أيّ معتقد ديني لهذه الطّائفة أو تلك؛ ولأنّها من صلب مسؤولياتها يُنتظر من تلك المرجعيّات أكثر من موقف ومبادرة في هذا الشّان.

**\*أستاذ الفلسفة في الجامعة اللبنانية**

**الكلمات الدالة**